

النشاط السياسي للقناصل الروس في ولاية بغداد خلال العهد العثماني (١٩٠٥-١٩١٤) دراسة تأريخية

الباحث. حيدر عبد الشريف حسين أ.د. شاكر حسين دمدوم الشطري

جامعة ذي قار / كلية الآداب / قسم التاريخ

shakerhussein@utq.edu.iq

art24gsh60@Utg.edu.iq

الملخص

شهدت المدة (١٩٠٥-١٩١٤) تنافساً كبيراً بين القوى الأوروبية في ولاية بغداد والمدن التابعة لها للحصول على امتيازات سياسية واقتصادية، وقد تميزت هذه الفترة بنشاط القنصليات والوكالات السياسية التي أدت دوراً رئيسياً في الأحداث التي شهدتها ولاية بغداد آنذاك، ومن أبرز تلك الأنشطة هو نشاط القنصلية الروسية العامة في بغداد والدوائر القنصلية التابعة لها، لاسيما في مدينتي كربلاء والنجف.

كان لهذه الدوائر الدبلوماسية الروسية أثر بارز في الأحداث التاريخية المهمة التي شهدتها ولاية بغداد خلال مدة البحث ومن أبرزها قضية الصراع بين أنصار المستبدة والمشروطة التي خلفتها تداعيات الثورة الدستورية في إيران عام ١٩٠٦ على مدينة النجف الأشرف، ومن جانب آخر الصراع الدبلوماسي البريطاني - الروسي في ولاية بغداد ، حيث سعت بريطانيا إلى الحد من جميع الأنشطة الأوروبية في العراق تمهيداً لفرض سيطرتها عليه ، وهو ما حدث أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى.

إعتمد الباحثان بشكل رئيس على المادة الوثائقية التي تم تأمينها من أرشيفات الدول الرسمية، كالأرشيف الروسي والبريطاني والعثماني، كما تم الإعتماد على مجموعة من الكتب المهمة، فضلا عن مصادر تأريخية متنوعة كالأطاريح والرسائل الأكاديمية والبحوث والصحف والدوريات والموسوعات التاريخية.

تم تقسيم البحث الى أربعة أقسام تناول القسم الأول طبيعة العلاقات بين القناصل الروس والولاة العثمانيين في بغداد. أما القسم الثاني فسلط الضوء على طبيعة العلاقات بين القناصل الروس ونظرائهم الأوربيين في ولاية بغداد ، فيما تناول القسم الثالث نشاط الوكالة القنصلية الروسية في كربلاء، وتناول القسم الرابع تأسيس وكالة قنصلية روسية في النجف عام ١٩٠٧ ودورها في أحداث النجف السياسية آنذاك.

الكلمات المفتاحية: (القنصلية الروسية، اورلوف، النجف، محمد كاظم اليزدي).

The Political Activity of Russian Consuls in the Baghdad Vilayet during the Ottoman Era (1914-1905) A Historical Study

Researcher: Haider Abdul Sharif Hussein, Prof. Shaker Hussein Damdum Al-Shatri

University of Dhi Qar / College of Arts / Department of History

Utg.edu.iq@art24gsh60 shakerhussein@utg.edu.iq

Abstract

The period (1905-1914) witnessed intense competition between European powers in the Baghdad Vilayet and its affiliated cities to obtain political and economic privileges. This period was characterized by the activity of consulates and political agencies, which played a major role in the events taking place in the Baghdad Vilayet at that time. Among the most prominent of these activities was the activity of the Russian Consulate General in Baghdad and its affiliated consular departments, particularly in the cities of Karbala and Najaf. These Russian diplomatic circles had a significant impact on the important historical events witnessed in the Baghdad Vilayet during the research period. Most notable among these was the conflict between supporters of autocracy and constitutionalism, which resulted from the repercussions of the Constitutional Revolution in Iran in 1906 on the holy city of Najaf. On the other hand, the British-Russian diplomatic conflict in the Baghdad Vilayet, where Britain sought to limit all European activities in Iraq in preparation for imposing its control over it, a situation that occurred during and after World War I. The researchers relied primarily on documentary material secured from official archives of countries, such as the Russian, British, and Ottoman archives. They also drew on a collection of important books, as well as various historical sources such as theses, academic dissertations, research, newspapers, periodicals, and historical encyclopedias. The research was divided into four sections. The first section addressed the nature of relations between the Russian consuls and the Ottoman governors in Baghdad. The second section sheds light on the nature of relations between Russian consuls and their European counterparts in the Baghdad Vilayet. The third section covers the activities of the Russian consular agency in Karbala. The fourth section examines the establishment of a Russian consular agency in Najaf in 1907 and its role in the political events in Najaf at that time. Keywords: (Russian consulate, Orlov, Najaf, Muhammad Kazim al-Yazdi).

النشاط السياسي للقناصل الروس في ولاية بغداد (١٩٠٥-١٩١٤)

كانت السمة الأبرز للنشاط الروسي في العراق في بداية القرن العشرين هي تطوير النشاط القنصلي في أغلب مناطق العراق ؛ لمنافسة النفوذ الأجنبي هناك وتحقيق منافع سياسية وإقتصادية تعزز مكانتهم في بلاد الرافدين ، إن ذلك التطور كان محفزاً للروس للقيام بمحاولات مد التمثيل الدبلوماسي الى المناطق المقدسة في العراق ومناطق أخرى وتكون جميع تلك الدوائر القنصلية

الجديدة تابعة الى القنصلية الروسية العامة في بغداد ، وبالنظر الى أعداد الرعايا الروس في ولاية بغداد ، فلم يطرأ تغيير واضح على أعدادهم عن المدة السابقة ، وبالإطلاع على المصادر التي أحصت أعدادهم في عام ١٩٠٥ كان هناك (٥٠) شخصاً في الكاظمية و(٣٠) شخصاً في كربلاء مع إغفال عدد الرعايا الروس في مدينة النجف التي ستكون فيما بعد أكثر من غيرها من مدن ولاية بغداد في أعداد الرعايا الروس الذين كان أغلبهم من أصل فارسي ويتحدثون اللغة الفارسية رغم أن وثائقهم الشخصية تدل على أنهم مواطنين روس (السعدون ٢٠٠٨ : ٤٧٦) .

أولاً - طبيعة العلاقة بين القناصل الروس والولاة العثمانيين في ولاية بغداد :

كانت طبيعة العلاقات بين القنصل الروسي العام في ولاية بغداد فيكتور فيدروفيتش ماشكوف (V. F. Mashkov) والولاة العثمانيين تتسم بالتوتر والخلاف وتقديم الشكاوى من كلا الطرفين ضد الآخر، ففي تاريخ ١٥ اب ١٩٠٦ صدر تقريراً من الباب العالي (مقر الحكومة العثمانية في إسطنبول) يتحدث عن الشكاوى التي تقدم بها وكيل والي بغداد فيضي باشا ضد القنصل الروسي العام ماشكوف ، حيث كان الأخير يحرض العلماء الإيرانيين في بغداد على عدم تنفيذ السياسة العثمانية والبريطانية بوجوب إخراج الروس من بلاد فارس ويشير فيضي باشا الى أن وجود هؤلاء العلماء في بغداد كان له دور كبير في حل الكثير من المشاكل العالقة بين بلاد فارس والدولة العثمانية ، وإن تحريض القنصل الروسي قد يوتر العلاقات بين الدولتين وأوصى بضرورة إتخاذ الإجراءات اللازمة بحق ماشكوف لضمان عدم تأزم العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين (BEO . 2385 . 178821 . Tarih : 24 Ca 1322. 6 August 1904) .

وتطرقت إحدى الوثائق العثمانية الى أنه بتاريخ ١٦ تشرين الأول ١٩٠٧ قُدمت شكاوى ضد ماشكوف الى السفارة الروسية في إسطنبول؛ بناءً على تصرفه الغير لائق في حادثة الإعتداء على مواطنين روس بين مدينتي بغداد و خانقين، وقد تمكن وقتها متصرف المنطقة من حل الموضوع وإعادة حقوق الرعايا الروس المعتدى عليهم لكن القنصل الروسي ماشكوف بعد أن وصل إليه

خبر الحادثة قام بإستخدام الشدة والتجاوز مع ضباط وموظفي العدلية بكل جرأة وعدم إحترام
(BEO . 2982 . 22363 . Tarih : 6 Z 1324 . 20 January 1907) .

وفي نفس الصدد قدمت القنصلية الروسية العامة في بغداد شكوى بتاريخ ٢٢ نيسان
١٩٠٨ شكوى ضد الوالي العثماني في البصرة عبد الرحمن حسن بك؛ بسبب إعتداء ضابط عثماني
على سكرتير القنصلية الروسية هناك ، وإيداع عدد من الرعايا الروس في السجن بسبب مشاجرة
بينهم وبين مفرزة عسكرية عثمانية ، وقد كان رد والي البصرة العثماني عبد الرحمن حسن بك أن
الشكوى المقدمة من القنصل الروسي ماشكوف ضده تحتوي الكثير من التشويه للحقائق HR . TH
(362 . 12 . Tarih : 23 Ra 1326 . 22 April 1908) .

وعلى الرغم من تلك الخلافات والأزمات بين ماشكوف والولاة إلا إن تلك العلاقات كانت
تتخللها حالة من الوئام في بعض الأحيان، حيث تشير صحيفة زوراء في أحد أعدادها أن الوالي
العثماني حظر لبعض المناسبات الوطنية التي أحييتها القنصلية الروسية العامة في بغداد وقدم
مراسيم التهنئة والتبريك (زوراء ، العدد ٢٨٠١ ، ١٩٠٩) .

قررت الحكومة الروسية في آذار ١٩٠٩ إقالة ماشكوف من منصبه وتعيين الكسندروفيتش
أورلوف (A . Orlov) مكانه قنصلاً عاماً في بغداد، ويبدو أن السبب؛ هو علاقاته السيئة
بالولاة والقادة العثمانيين رغم أنه كان كفوءاً في عمله وتربطه علاقات وثيقة مع الأوساط المحلية
(IOR/L/PS/10/188, 1910 :17) .

تميز اورلوف بالحس السليم وقوة الذكاء، كما تميزت فترته كقنصل في بغداد بالتعاون مع القناصل
الأوروبيين في بغداد ولاسيما القنصل البريطاني (11 : 1913 , IOR/L/PS/10/212) .

تميز دور القناصل الروس في عهد أورلوف بالتحرك في العراق بحرية تامة دون الاهتمام
بردود فعل السلطات العثمانية وذلك لإدراكهم حقيقة الضعف الذي تمر به الدولة العثمانية في تلك
المرحلة من تاريخها، حتى إن اورلوف وممثليه السياسيين بدأوا يتصرفون مع الولاة والقادة

العثمانيين بتصرفات بعيدة عن القواعد السياسية المتعارف عليها بين الدول، ففي عام ١٩٠٩ التقى أورلوف بوالي بغداد ودار النقاش بينهم حول بعض الأمور، وكان من نتيجة إختلاف وجهات النظر بينهما أن شد القنصل الروسي لحية الوالي ولنا أن نتخيل مدى الضعف العثماني حينما سحببت حكومة إسطنبول الوالي الذي تمت إهانته من بغداد دون ان تكون لها ردة فعل تجاه القنصل الروسي (السعدون ، ٢٠٠٨ : ٤٨٤-٤٨٥).

ونقلت إحدى وثائق أرشيف السياسة الخارجية الروسية الصادرة في عام ١٩١٤ الى رسالة من القنصل الروسي العام في بغداد تشيركازوف (Cherkasov) الى السفارة الروسية في إسطنبول يبين فيها مدى الإنتهاكات الصارخة المتمدة من قبل رجال الدرك التابعين الى وزارة الداخلية العثمانية في ولاية بغداد ضد الرعايا الأجانب، ولاسيما الروس ويوضح القنصل تشيركازوف أن تصرفات الدرك ضد الروس يتم توجيهها من قبل السلطات العليا التي لاتأبه لإحتجاجات القناصل الأوروبيين، ويتطرق الى حادثة وقعت في مدينة الكاظمية، حيث إعتدى رجال الدرك بقيادة الضابط رضا أفندي على القاصر الروسي عبد الحسين محمد إسماعيل أوغلي بالضرب المبرح وزجوه في السجن وقدموه للمحاكمة الميدانية، لولا تدخل القنصلية الروسية، وتخليصه من أيديهم (11: 1914, No. 394, 912/50, PГA ABПPΦ).

ثانياً - طبيعة العلاقات بين القناصل الروس ونظرائهم الأوروبيين في ولاية بغداد:

شهدت فترة القنصل أورلوف في بغداد نوعاً من التعاون مع نظرائه القناصل الأوروبيين اتسمت بتوحيد مواقفهم تجاه بعض القضايا التي تهدد أمن الرعايا الأجانب في العراق مثل الإشاعات التي أطلقها أورلوف أن هناك مذابح يخطط لها العراقيين المسلمين ضد النصارى الأجانب في العراق (1 October 1910, 1328 N 28, Tarih : 7/ 10, 7A / 112 . SYS . DH).

وكذلك إحتجاج القنصل الروسي ونظيره البريطاني والفرنسي على كتابة لفظ كفار في فتاوى العلماء في مدينتي النجف وكربلاء، حيث طلب القناصل الاجانب من العلماء تغيير ذلك اللفظ (25 March 1911, 1329 Ra 24, Tarih : 2, 114 . SYS . DH).

وفي نفس السياق وقف القنصلان الروسي والبريطاني في بغداد بوجه خطيب المشهد الكاظمي السيد صالح الحلي في كانون الأول ١٩١١ حينما حاول الأخير إثارة الناس في خطبه ضد البريطانيين والروس، فادى ذلك الى إنذاره من قبل قائممقام الكاظمية بالكف عن القيام بتلك الأفعال (السعدون، ٢٠٠١ : ٤٣٥)، كما إنتقد القنصلان ذاتهما السلطات العثمانية في مسألة عدم إتخاذها الإجراءات اللازمة للسيطرة على حوادث الإعتداء على الزائرين الأجانب بين بغداد وكربلاء (3 : 1912 ، IOR/L/PS/10/212)، وقد ذهبت العلاقة بين القنصل اورلوف والقناصل الأوروبيين الى ابعد من ذلك، حيث كان نائب القنصل البريطاني في بغداد نورمان سكوت (Norman Scott) دائماً ما يمتدح اورلوف، إذ قال في إحدى المناسبات " إن السيد أورلوف القنصل الروسي العام في بغداد والدكتور هيس القنصل الألماني كان لهما الثقل الأكبر بين زملائي الأجانب هنا ، فكلاهما رجلان واضحان ويعتمدان على نفسيهما " IOR/L/PS/10/188 (18 : 1910 ،)، كما كان القنصل البريطاني والمقيم السياسي في بغداد لوريمر ينعت اورلوف بعبارة عميد السلك القنصلي في بغداد (1 : 1913 ، IOR/L/PS/10/212)، وترجمة لذلك التعاون أوصى السفير البريطاني في إسطنبول نائب القنصل البريطاني سوان أن يجتمع مع اورلوف في مدينة قصر شيرين للبت في مسألة الخلاف الحدودي بين الدولة العثمانية وبلاد فارس (12 : 1912 ، IOR/L/PS/10/212). كما حوت بعض الوثائق الروسية معلومات حول مساعي القنصلية الروسية العامة في بغداد لحماية بعض الرعايا الأوروبيين مثل التاجر يانكو فيشكوفيتش (Janko Vishkovic) من دولة الجبل الأسود ، إذ وجهت وزارة خارجية الجبل الأسود نداءً الى القنصلية الروسية بحمايته بسبب؛ الخلاف بينه وبين إحدى الشركات الأجنبية في بغداد وهي شركة فيليب هولتزمان حول عقد مد سكة حديد من بغداد الى مدينة يارباشي العثمانية. (19 : 1913 ، No. 677 ، 912/33 ، PTA ABIPF).

أدى القنصل الروسي العام في بغداد أورلوف دوراً هاماً في القضايا السياسية التي كانت تدور حول الإدارة العثمانية والتنافس الأوربي في العراق، فعقد إجتماعاً في منزله ضم جميع القناصل الأوروبيين إحتجاجاً على قرار مدير البريد و البرق بحظر البرقيات المشفرة الموجهة من القناصل الى سفاراتهم وقدم أورلوف نيابة عن باقي القناصل ورقة الإحتجاج الى والي بغداد الذي

أمر بإلغاء الحظر وكان ذلك بتاريخ ١٤ شباط ١٩١٣ (1 : 1913, IOR/L/PS/10/212) ، وكان لأورلوف كذلك نشاطاً مهماً في زيارة العديد من المناطق التابعة لولاية بغداد ومحاولة كسب ولاء شيوخ القبائل للإمبراطورية الروسية، فقد زار منطقة شهربان في آيار ١٩١٣ والتقى بشيوخ عشيرتي زنكنه وربيعه ووعدهم بإعطائهم الأراضي والمساعدات المالية مقابل دخولهم تحت حماية روسيا ، وكان هذا باعثاً على أن تلاحق السلطات العثمانية شيوخ العشائر أولئك لتعاونهم مع الروس (27 June 1913) (23 B 1331 , Tarih : 313972 . 4187 . BEO).

ومن جهة أخرى فإن الرعايا الروس في بغداد والذين أخذت أعدادهم بالتزايد لاسيما في النجف الأشرف كما سنرى لاحقاً كانت لهم نشاطات إقتصادية في ولاية بغداد، حيث تشير إحدى الوثائق البريطانية الى إقامة القنصلية الفارسية في بغداد إحتفالاً على أرض واحدة من حدائق بغداد تعود ملكيتها لأحد الرعايا الروس ويسمى عليوف (11 : 1912 , IOR/L/PS/10/212).

إنتهت مدة عمل أورلوف قنصلاً في بغداد في آيار ١٩١٣ وبقيت القنصلية الروسية تُدار بالوكالة من قبل السيد بوبوف (Popov) حتى شهر نيسان ١٩١٤ حينما تولى تشيركازوف منصب القنصل الروسي العام في بغداد (السعدون ، ٢٠٠٨ : ٤٧٧) .

ثالثاً - دور الوكالة القنصلية الروسية في كربلاء :

أبدت روسيا اهتماماً خاصاً بالمدن المقدسة في ولاية بغداد فحاولت مد نشاطها القنصلي إليها كما حاولت فتح مراكز قنصلية في خانقين وسامراء، كانت روسيا تدرك جيداً الأهمية السياسية للمدن المقدسة، ولعل البعض يفسر الاهتمام الروسي بتلك المدن بأن روسيا تريد حماية رعاياها والزائرين المسلمين من الروس، لكننا وبالنظر الى المصالح الروسية في المنطقة والمنافسة الأوربية لها نجد ما بين السطور ما هو أعمق من ذلك وهو محاولة روسيا التأثير في عملية صناعة القرار السياسي في بعض دول المنطقة بتقريبها من علماء الدين الذين يقطنون المدن الدينية (السعدون ، ٢٠٠٨ : ٤٨٠) ، والذين لهم تأثير واضح في الشارع السياسي، ولاسيما في بلاد فارس

التي تحتل روسيا مناطقها الشمالية، وقد كان أول تمثيل دبلوماسي روسي في كربلاء كان في عام ١٩٠٣ بتعيين الحاج نصر الله خان وكيلاً قنصلياً فيها، ومنذ ذلك الحين أخذ الاهتمام الروسي بكربلاء مدى أوسع وبالتحديد في العقد الثاني من القرن العشرين، حيث تشير الوثائق البريطانية الى إرسال وزارة الخارجية الروسية أحد الشخصيات البارزة لتولي منصب نائب القنصل العام في كربلاء وهو السيد فرخاتيس الذي وصل الى بغداد في نيسان ١٩١٤ وذهب الى كربلاء ودخلها باسم مستعار وهو الدكتور عبد الرحمن فرهادوف وأصبح نائباً للقنصل العام في كربلاء (5 : 1914 , IOR/L/PS/10/212) . ويبدو أن سبب تخفيه تحت إسم مستعار هو عدم تعيينه بشكل رسمي ، بل إن مهمته كانت استخباراتية أكثر من كونها دبلوماسية (السعدون ، ٢٠٠٨ : ٤٨١) ، كما تم تعيين مترجماً له في كربلاء وهو محسن مهدي قلي شيرواني نجل نائب القنصل الروسي في الكاظمية مهدي قلي شيرواني (5 : 1014 , IOR/L/PS/10/212) . ولأهمية منصب فرهادوف ، فقد أحيط بعناية خاصة، حيث تم منحه راتباً شهرياً مقداره (١٥) ليرة و (٢٠) ليرة نفقات لمكتبه وإستأجر داراً فخمة في كربلاء بمبلغ إيجار سنوي (٤٠) ليرة ، ويشير نائب القنصل البريطاني في كربلاء الى تمتع فرهادوف بشخصية مؤثرة ومحترمة ويمتلك نفوذاً أكثر ممن سبقوه (السعدون، ٢٠٠٨ : ٤٨١). يتضح مما سبق مدى الاهتمام الروسي بكربلاء كونها تمثل بعداً دينياً و سياسياً مهماً للروس وسياستهم في المنطقة.

رابعاً - تأسيس وكالة قنصلية روسية في النجف عام ١٩٠٧ ودورها في أحداث النجف السياسية آنذاك :

لايختلف إثنان على مكانة مدينة النجف الأشرف الدينية والسياسية، فهي مقراً لأهم الحوزات العلمية الإسلامية الشيعية التي أسهمت في بروز علماء دين أفذاذ كان لهم دوراً مؤثراً في الشارع السياسي، وذلك مرده الى القاعدة الشعبية الكبيرة التي تتبع هؤلاء العلماء، ولذلك تسابقت الدول الأوروبية في فتح تمثيل دبلوماسي لها في تلك المدينة، فقد تأسست في عام ١٩٠٧ أول وكالة قنصلية روسية في النجف وكانت برئاسة شخص مسلم يدعى أبو القاسم الشيرواني وهو أحد

الرعايا الروس المقيمين في المدينة (حرز الدين ، ٢٠٠٦ : ٩٥ ؛ السعدون ، ٢٠٠٨ : ٤٧٧) ، كان ذلك التمثيل الروسي في النجف يوصف بأنه غير رسمي، إذ لم يكن للشيرواني مكتباً خاصاً به وكان يمارس عمله في بيته البسيط وكانت علامات الفقر واضحة عليه، فهو لم يكن يتقاضى أجراً عن عمله في معظم الأحيان (24 : 1912 , IOR/L/PS/10/212).

أنيطت بالشيرواني مهام مراقبة تحركات الدول الأجنبية في النجف، ولا سيما الأنشطة البريطانية ذات الحضور السياسي الأقوى في العراق، والتقرب من العلماء وحضور خطب القائم مقام العثماني لسماع مدى التحريض العثماني ضد روسيا القيصرية وقد تسبب ذلك بتوجيه إنذار من قائم مقام النجف الى أبو القاسم الشيرواني بلزوم داره وعدم حضور الخطب.

(السعدون ، ٢٠٠٨ : ٤٨٠)

كان للشيرواني دور بارز في قضية الصراع بين أنصار المشروطة (هم الذين ايدوا نظام المشروطة الذي جاءت به الثورة الدستورية في بلاد فارس ١٩٠٦) وأنصار المستبدة (هم الذين كانوا ضد المشروطة وايدوا الحكم الفردي في بلاد فارس) في النجف (عبيد والكرعاوي ، ٢٠١٦ : ٩٣) والتي سيرد تفصيلها لاحقاً، وعلى الصعيد الثقافي ساهم أبو القاسم الشيرواني في عام ١٩٠٩ بتأسيس المدرسة المرتضوية والتي تعد من أقدم مدارس النجف والتي كان مؤسسها الفعلي أحد الرعايا الروس في المدينة وهو عبد الرحيم البادكوبي وكان الشيرواني يتفقد تلك المدرسة بين فترة وأخرى ويطلب لها الدعم والمساعدة وأعتمدت المدرسة في مناهجها التعليمي على النظام الذي كانت تدير عليه المدارس الحكومية (مجموعة باحثين ، ٢٠١٨ : ٩٧) ، كما إهتم بطلبة العلوم الدينية الذي يدرسون في الحوزة العلمية في مدينة النجف والذين أخذ عددهم بالتزايد حتى وصل الى (٣٠٠) طالب في السنوات اللاحقة (السعدون ، ٢٠٠٨ : ٤٧٦).

لقد حاول القنصل الروسي أورلوف في العام ١٩١٠ توسيع دائرة التمثيل الدبلوماسي الروسي في النجف وتحويل الوكالة القنصلية الى درجة قنصلية وتغيير الوكيل الحالي فأرسل في شهر نيسان من نفس العام ثلاث رسائل الى أبرز ثلاث علماء في النجف وهم السيد محمد كاظم

اليزدي والشيخ محمد كاظم الأخوند الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني أخبرهم فيها أنه يصبو الى إقامة علاقات صداقة معهم وأن القنصلية العامة في بغداد بصدد إنشاء قنصلية في النجف تخدم وتحمي الحجاج الروس وأنها ستكون طوع رأي المجتهدين وكان رد اليزدي أنه اشعر القنصل بإستلام رسالته فقط، بينما كان رد المجتهدان الآخران ينم عن ترحيب بطلب القنصل العام (17 : 1910 , IOR/L/PS/10/188)، ولربما كان هذا الترحيب من المرجعين لأنهما أرادا إيجاد منافس آخر لبريطانيا في مدينة النجف وهو ما يسهم بتحقيق فائدة للمصلحة العامة.

وفي ذات السياق أخبر المتصرف العثماني في كربلاء نائب القنصل البريطاني هناك أن وزارة الخارجية العثمانية كلفته بإعداد تقرير بخصوص إنشاء قنصلية روسية في النجف ، وهل أن وجود قنصل روسي هناك يؤدي الى إستثارة العصبية الدينية، فأجابه نائب القنصل البريطاني بأنه لايعتقد بحدوث مشاكل مع القنصل الروسي الجديد شريطة أن يكون مسلماً من الرعايا الروس في النجف (16 : 1910 , IOR/L/PS/10/188) .

ولدراسة الأمر بشكل كامل أرسل القنصل الروسي العام وكيله في الكاظمية مهدي قلي الى النجف فإستأجر منزلاً هناك ومكث ستة أسابيع وكان جوابه لمن يسأله عن رحلة النجف أن هواء المدينة ملائم لصحة إبنته المريضة، ولكن الغاية من الزيارة وهي بلا شك دراسة مدى ملائمة الأوضاع لإنشاء قنصلية روسية هناك (17 : 1910 , IOR/L/PS/10/188)، ويبدو أن الروس قد قرروا الإبقاء على الشيرواني وكيلاً قنصلياً في النجف، حيث نجده كما ذكرنا آنفاً يؤدي دوراً مهماً في أحداث النجف ١٩٠٧ - ١٩١١ ، كما أن المقيم السياسي البريطاني لوريمر (Lorimer) يشير الى أنه إلتقى الشيرواني في النجف عام ١٩١٣ وأشار إليه بوصفه نائب القنصل الروسي العام في النجف ، وتصف المصادر التاريخية الشيرواني بأوصاف يستدل منها على مدى تدقيق الروس في إختيارهم لممثليهم الدبلوماسيين، فيصفه المقيم السياسي البريطاني في بغداد لوريمر بأنه شاب ذكي ذو أحاديث ممتعة (24 : 1912 , IOR/L/PS/10/212)، بينما تصفه مصادر

أخرى بأنه رجل موفور النشاط واسع الحيلة، ومن الطبيعي أن رجل بتلك المواصفات يستمر في عمله لفترة طويلة إمتدت حتى عام ١٩١٤ (عبيد والكرعاوي ، ٢٠١٦ : ٩٣).

ومن الجدير بالذكر أن نورد هنا ماتحدث به المقيم السياسي البريطاني لوريمر في تقاريره لعام ١٩١٣ التي كان يرسلها الى السفارة البريطانية في إسطنبول أنه حين التقى بأبو القاسم الشيرواني في منزله بالنجف كان بصحبة الشيرواني صديق نجفي هو الشيخ عطية أبو كلل الذي يصفه لوريمر بأنه كان يقاتل القوات العثمانية في صحراء مدينة النجف (10 : 1913 , IOR/L/PS/10/212) ، ولربما أن الشيرواني كان يرى في الشيخ عطية أداة من الأدوات التي تخدم المصالح الروسية في النجف ؛ بسبب خلافه المستمر مع العثمانيين.

- دور القنصلية الروسية في النجف في الصراع بين أنصار المستبدة والمشروطة (١٩٠٧-١٩١١) :

كان للثورة الدستورية التي قامت في بلاد فارس عام ١٩٠٦م. ضد الحاكم القاجاري مظفر الدين شاه خامس ملوك الدولة القاجارية في بلاد فارس والذي حكم للمدة من عام ١٨٩٦م حتى وفاته عام ١٩٠٦م (الجاف ، ٢٠٠٨ : ٣٠٣-٣٠٦) ونتائجها دوراً كبيراً في الأحداث التي وقعت في مدينة النجف والتي إستمرت من عام ١٩٠٧م. حتى عام ١٩١١م. ومن المعلوم أن رجال الدين كانوا هم عصب تلك الثورة وبعد نجاحها تم كتابة الدستور وتأسيس مجلس النواب وتشكيل مجلس سمي بمجلس المشروطة والذي يتكون من خمسة مجتهدين مهمتهم النظر في التشريعات التي يصدرها مجلس النواب الإيراني بخصوص مطابقتها لأحكام الشريعة الإسلامية وصلاحيه قبول أو رفض تلك التشريعات (البديري ، ٢٠١٥ : ٧٤-٧٥)، إلا أن علماء الدين إنقسموا الى قسمين حول تأييد أن يكون الحاكم مقيداً بدستور ومجلس وطني أو أن يكون منفرداً في حكمه دون تقييد، وسمي من أيد الرأي الأول بأنصار المشروطة وهو الاسم الآخر للثورة ، فيما سمي من أيد الرأي الثاني بأنصار المستبدة وشهدت بلاد فارس إنعطافة خطيرة بسبب الخلاف بين الطرفين الى درجة قتل بعض علماء الدين ممن خالفوا رأي أصحاب المشروطة (الجبوري ، ٢٠٠٦ ، ١٨٥).

إنقلت حمى الخلاف بن المشروطة والمستبدة الى النجف كون أن العلماء الكبار المتصدين للمرجعية في النجف آنذاك كانوا من أصول فارسية ولهم ثقلهم الديني هناك فأخذت الفتاوى ترد من بلاد فارس الى النجف حول حرمة المشروطة من حلالها وهو ما أفضى الى بداية الصراع بين أنصار الطرفين في النجف (الجبوري ، ٢٠٠٦ : ١٨٦-١٨٧).

بحلول عام ١٩٠٧ إنقسم علماء الدين في النجف إزاء ذلك الصراع الى قسمين، الأول تزعمه المرجع محمد كاظم الخراساني وهم أنصار المشروطة الذين كانوا يرون ضرورة تقييد الحاكم بدستور ومجلس نيابي وإن ذلك لا يتنافى مع التعاليم الإسلامية (البهادلي ، ٢٠٠٢ : ١٢٧)، أما القسم الآخر فتزعمه السيد محمد كاظم اليزدي الذي كان يرى أن مصلحة الدولة تكمن في ان يحكمها شخص واحد يكون مسؤولاً عنها وأن المشاركة في الحكم تقود الى الفساد.

(الجبوري ، ٢٠٠٦ : ١٦٧ - ١٦٨)

لقد نتج عن هذا الأمر دخول مدينة النجف في دوامة الصراعات الفكرية ، وإرغام علمائها وقادتها على التصادم فيما بينهم، بل وحتى بيوتات النجف المشهورة بعلمائها وأدبائها إنقسمت بين الطرفين ، فقد أيدت أسرتي ال بحر العلوم وال الجواهري المشروطة، بينما ذهبت اسرة ال كاشف الغطاء مع رأي المستبدة (السبتي ، ٢٠٠٧ : ١٢٥)، وسرى ذلك الأمر على القوتين المتصارعتين في النجف آنذاك وهما الزكرت والشمرت اللتان انظمتا الى جماعة المستبدة لحماية قادتهم.

(السبتي ، ٢٠٠٧ : ١٣٠)

شهد المجتمع النجفي نقاشات حادة وصلت الى حد العراك أحياناً وساعد الميل المفرط لدى النجفيين الى الجدل في تأزم الموقف، ويصف أحد الشعراء أحوال مدينة النجف وإنقسامها وقتذاك فيقول:

تغيرت الدنيا وأصبح شرها يروح بإفراطٍ ويغدو بتقريطٍ

الى أين يمضي من يروم سلامة وما الناس إلا مستبدٌ ومشروطي (الجبوري ، ٢٠٠٦ : ١٨٧).

بدأت تلك الأفكار السياسية الثورية الجديدة تجد طريقها الى عقول أبناء النجف ولذا نرى أن معظم أتباع تيار المشروطة كانوا من المتعلمين والمتتورين وبالخصوص مشايخ وطلبة الحوزة الذين وجدوا في المشروطة تطوراً في الفكر السياسي بعد أن كانت المؤسسة الدينية ترتاب من هكذا تحول فكري (جعفر، ٢٠٢٠ : ٦)، أما عامة الناس فكانوا يتعاطفون مع المستبدة وعلمائها (صيهود، ٢٠١١ : ٢٣١)، ذلك الخلاف الذي قاد الى تهديد العلماء بالقتل، حيث إنتشرت على جدران النجف الملصقات التي تحمل صورة مسدس موجه الى السيد كاظم اليزدي وكان هذا باعثاً على بدء إنتشار المظاهر المسلحة في النجف، فكان جمهور المستبدة يحيطون باليزدي في شوارع النجف وهم مدججين بالسلاح (السبتي، ٢٠٠٧ : ١٢٦ ؛ الحكيم، ٢٠٢ : ٤٣٣).

لقد أجبر السيد اليزدي على أن يكون معارضاً للمشروطة فهو في البدء كان محايداً وأعتزل ذلك الجدل وأمتنع عن الإجابة على الفتاوى التي كانت ترد من بلاد فارس بذلك الشأن، وكانت فلسفته في المشروطة أنها أمر مجهول العاقبة قد يكون مصيره النجاح ولكنه لا يجازف بتأييد أمر مجهول وكان دائماً ما يردد في هذا الشأن " إني لا أمانع ولا أوافق " وعلى هذا الأسس إعتبره الطرف الآخر معارضاً له (الحكيم، ٢٠٢٠ : ٤٣٦).

وساهمت أطرافاً أخرى في تأجيج الموقف بين العلماء، ففي أحد الأيام خطب الشيخ حسن وهو أحد الدعاة العثمانيين في النجف وأنتقد بلهجة شديدة المجتهدين الذين لم يتفاعلوا مع الأحداث ولم يقفوا مع المشروطة وهاجمهم أمام الجموع الغفيرة بقوله أقتلوهم وكان يقصد بالطبع اليزدي وأتباعه من العلماء (4 : 1912 , IOR/L/PS/10/212)، وهذا إن دل فإنما يدل على إنسجام سياسي بين العثمانيين وإنصار المشروطة، وقد تحدثت بعض المصادر التاريخية عن إتصالات بين قادة حزب الإتحاد والترقي وبين الأخوند الخراساني (عبيد والكرعاوي، ٢٠١٦ : ٩٤).

ونحنى الأمر منحنياً خطيراً حينما قام بعض طلبة العلوم الدينية من بلاد فارس وبتحريض من بعض علماء المشروطة بالسير الى ضريح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومحاولة إرغام اليزدي

على عدم أداء صلاة الجماعة بسحب بسات الصلاة من تحته ومحاولة الاعتداء عليه، وجاءت تلك الحادثة على اثر إعتراض محمد كاظم اليزدي على فتاوى علماء المشروطة بإيقاف صلاة الجماعة وتعليق الدروس الحوزوية إحتجاجاً على الاعتداء الروسي على بلاد فارس (6 : 2011 , IOR/L/PS/10/212) .

وفي لقاء محمد كاظم الأخوند بالمقيم السياسي البريطاني العقيد رامزي (Ramsy) في حزيران ١٩٠٩ هـ ب إعلان الجهاد ضد القوى الأجنبية في بلاد فارس في حال عدم سحب تلك القوى جيوشها من إيران، وأرسل الأخوند رسالة بذات المحتوى الى القنصل الروسي العام في بغداد أورلوف (57 : 2003 , Nakash) ، وعطفاً على ذلك سافر القنصل الروسي العام أورلوف الى النجف للقاء الأخوند ومطالبته بإلغاء فتواه بجهاد الروس إلا أن الأخير رفض مقابلته إلا بتعهد من الحكومة الروسية بسحب قواتها العسكرية من بلاد فارس (السماك ، ١٩٩٥ : ٧٥).

إنّ هذا الموقف المتصلب من محمد كاظم الأخوند قاد الروس الى التقرب من جماعة المستبدة عن طريق وكالتهم القنصلية في النجف وكان هذا التقارب بناءً على أن الطرفين يجمعهما رفض التغييرات الدستورية التي جاءت بها ثورة المشروطة، وقد إجتمع القنصل الروسي فعلاً ببعض قيادات المستبدة في النجف (السبتي، ٢٠٠٧ : ١٣١).

كان من نتيجة هذا التقارب أن القنصلية الروسية تدخلت مرات عديدة لحماية أفراد عرفوا بعدائهم للمشروطة، كما حصل بتاريخ ١٤ تموز ١٩١٠م. حينما منعت القنصلية الروسية نفي إمام جمعة طهران السابق ميرزا أبو القاسم الذي كان متواجد في ولاية بغداد من قبل السلطات العثمانية (14 : 1910 , IOR/L/PS/10/188) .

وفي عام ١٩١١م. أرسل القنصل الروسي العام في بغداد أورلوف رسالة الى وكيله في النجف أبو القاسم الشيرواني يوصيه فيها بمراقبة من يحاول تضليل المجتهدين بسوء العلاقات بين روسيا وبلاد فارس وأن البلدين تربطهما علاقات صداقة وأن روسيا ستسحب من المدن التي سيطرت عليها بمجرد إنهاء الخلاف بين الطرفين (8 : 1911 , IOR/L/PS/10/212).

وفي الختام يجب الإشارة الى الأهمية التي كان يحتلها مراجع الدين في النجف، حيث كان لهم ثقلهم البارز في القرارات السياسية والتي جعلت القناصل البريطانيين والروس يتسابقون للقائهم كما يجدر القول أن ماحدث بين المرجعين اليزدي والخراساني ربما كان إختلافاً لا خلاف نتج عن تفكير كل منها في قضية المشروطة من زاوية دينية وسياسية تختلف عن الآخر، وإن التوتر والتأزم إنما مرده لأتباع وحاشية الطرفين الذين تحركهم عدة عوامل، إما لإندفاع ديني وصل حد التهور أو لحرص غير مبرر على سلامة العلماء أو لمصالح شخصية يحققونها بتقربهم من المراجع بحجة حمايتهم وهذا هو ديدن الأتباع والحواشي في كل زمان ومكان.

الخاتمة

- ١- شهدت المدة ١٩٠٥ - ١٩١٤م. نشاطاً روسياً واضحاً في العراق بشكل عام وفي ولاية بغداد بشكل خاص عن طريق القنصلية الروسية العامة في بغداد والتي كانت مسؤولة عن عمل جميع الدوائر الدبلوماسية الروسية في العراق.
- ٢- حاول القناصل الروس التدخل بشكل مؤثر في الأحداث التي حدثت في تلك الحقبة الزمنية في ولاية بغداد لتوطيد المصالح الروسية، ولا سيما في مسألة إيجاد متنفس بحري لروسيا على الخليج العربي، ومحاولة الإستفادة من الصراع بين أنصار المستبدة والمشروطة لخدمة مصالحها في العراق وبلاد فارس.
- ٣- شهدت الحقبة التي تناولها موضوع البحث تنافساً دبلوماسياً روسياً - بريطانياً في ولاية بغداد ، وكان ذلك التنافس لا يخلو من المكائد والمؤمرات التي كان يدبرها كلا الطرفين للطرف الآخر.

قائمة المصادر

أولاً - الوثائق غير المنشورة

الوثائق الروسية :

1. РГА АВПРФ , 912/50 , No. 394 , Письмо
2. Генерального консула России в Багдаде Черкасова в
3. посольство России в Стамбуле относительно нападений
4. сотрудников османски служб безопасности на российских
5. граждан , 30 Июль 1914 .
6. РГА АВПРФ , 912/33 , No. 677 , 23 Октябрь 1913 , Дела с
7. участием граждан Черногории, Сербии и Болгарии в
8. Багдаде 1913 – 1914 .

الوثائق البريطانية :

1. IOR/L/PS/10/188, Mesopotamia Baghdad Affairs Misc
2. During The Months of April and May 1910 .
3. IOR/L/PS/10/212, Summary of Events in Turkish Iraq For
4. The years 1912 - 1914 .

الوثائق العثمانية :

1. BEO . 2385 . 178821 . Tarih : 24 Ca 1322 (6 August 1904) .
2. BEO . 2982 . 22363 . Tarih : 6 Z 1324 (20 January 1907) .
3. HR . TH . 362 . 12 . Tarih : 23 Ra 1326 (22 April 1908) .
4. DH . SYS . 112 . 7A /7. 10 ,Tarih : 28 N 1328 (1 October 1910).
5. DH . SYS . 114 . 2 , Tarih : 24 Ra 1329 (25 March 1911) .
6. BEO . 4187 . 313972 , Tarih : 23 B 1331 (27 June 1913) .

ثانياً - الرسائل الجامعية :

١. السبتي، عدي محمد كاظم (٢٠٠٧)، محمد كاظم الأخوند ١٨٣٩-١٩١١ دراسة تأريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة الكوفة .

ثالثاً - الكتب العربية والمعرّبة :

١. الجاف ، حسن كريم (٢٠٠٨) ، موسوعة تاريخ إيران السياسي ، مج ٣ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت .
٢. السعدون ، خالد حمود (٢٠٠٨) ، الصراع حول رأس الخليج العربي مطلع القرن العشرين ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت .
٣. - السعدون ، خالد حمود (٢٠٠٣) ، أحداث في تاريخ الخليج العربي ، المكتبة الجامعية للنشر ، الإسكندرية .
١. البديري ، خضير مظلوم (٢٠١٥) ، التاريخ المعاصر لإيران وتركيا ، ط ٢ ، العارف للمطبوعات ، بيروت .
٢. البهادلي ، محمد باقر (٢٠٠٢) ، السيد هبة الدين الشهرستاني آثاره الفكرية ومواقفه السياسية ، مؤسسة الفكر الإسلامي ، بيروت .
٣. حرز الدين ، محمد (٢٠٠٦) ، تاريخ النجف الأشرف ، ج ٣ ، مطبعة نكارش ، قم .
٤. السماك ، محمد رضا (١٩٩٥) ، الأخوند الخراساني شمس في منتصف الليل ، ترجمة : كمال السيد ، مؤسسة أنصاريان ، قم .
٥. مجموعة باحثين (٢٠١٨) ، موسوعة كربلاء الحضارية ، القسم التاريخي ، ج ٧ ، مركز كربلاء للدراسات والبحوث ، كربلاء المقدسة .
٦. الجبوري ، كامل سلمان (٢٠٠٦) ، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه السياسية ، مؤسسة ذوي القربى ، قم .

رابعاً - الكتب الأجنبية :

1. Yitzhak Nakash , The Shi'is of Iraq , Second Edition , Princeton University Press , New Jersey , 2003 .

خامساً - البحوث المنشورة :

١. القيسي ، علاء عطا الله (٢٠٢١) ، ج . ج . لوريمر ومنهجه في كتابة تاريخ الخليج العربي ، مجلة الآداب ، العدد ١٣٦ ، بغداد .
 ٢. عبيد ، محمد فرحان و الكرعوي ، هادي حسين (٢٠١٦) ، الفكر السياسي عند السيد محمد كاظم اليزدي ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة ، مج ١ ، العدد ٣٤ .
 ٣. جعفر ، عبد الله (٢٠٢٠) ، دور علماء الدين في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ ، مجلة الخليج العربي ، مج ٤٨ ، العدد ١-٢ ، البصرة .
 ٤. صيهود ، جاسب عبد الحسين (٢٠١١) ، الصحافة النجفية بين عامي ١٩١٠ - ١٩٣٢ دراسة تاريخية ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، مج ١٤ ، العدد ١-٢ .
 ٥. الحكيم ، علاء الدين (٢٠٢٠) ، السيد اليزدي والثورة الدستورية في بلاد فارس ١٩٠٦-١٩٠٩ دراسة تحليلية ، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة ، مج ١ ، العدد ٥٨ .
- #### سادساً - الصحف :
١. زوراء (صحيفة)، بغداد ، العدد ٢١٠٨ ، ٩ ذو القعدة ١٣٢٤ (٢٤ كانون الأول ١٩٠٩).